أسرة آل الزهير البصرية ودورها في البناء الحضاري والتواصل الإنساني في فترة التاريخ الحديث

أ. م. د.باسم حمزة عباس

جامعة البصرة – كلية الدراسات التاريخية

قسم التاريخ الحديث والمعاصر

المقدمـــــة :

قدم البحث إلى المؤتمر العلمي الرابع الذي عقدته كلية الدراسات التاريخية بجامعة البصرة للفترة من 28-29 تشرين الثاني عام 2006م والذي كان تحت بعنوان ((مشاهير الأسر البصرية عبر العصور التاريخية)) .

وبما أن لأسرة آل الزهير البصرية دور واضح في تاريخ مدينة الزبير والبصرة بشكل عام فإن البحث يتضمن الدور الحضاري والإنساني لهذه الأسرة وتفاعلاتها مع الأحداث خلال فترة التاريخ الحديث .

وقد تناولت بعض الصحف والمصادر هذه الأسرة من الناحيتين الاجتماعية والإنسانية ، وهي على ندرتها فإنها قدمت نموذجا لبحث متواضع ، ومع إن أية دراسة في هذا المجال تحتاج إلى التواصل المستمر ، لذا أضعها بين أيدي الزملاء والباحثين لوضعها على الطريق الصحيح والله ولي التوفيق ....

أسرة عربية قحطانية ذات تاريخ مشرّف وماض مجيد غير منسوبة إلى قبيلة ويقال أن زهير بن فلاح بن سالم (وهو من عشيرة الزهير) حل بمنطقة الشّنانة (التابعة حاليا لمدينة الرس بالقصيم في المملكة العربية السعودية) عام 1640م ، وقد أنجب أربعة أولاد هم : ضويان وشايع وشبيب وعلي ، وأنجب ضويان الكثير

من الأولاد تفرعوا في أسر عديدة معروفة منها الضويان والروضان والعبودي ولعل أكبرها عائلة الضويان أما الأسر التي تفرعت من أولاد شبيب فيسمون الجاسر والمحيا والقعود والعميد وأكبرها الجاسر ، والأسر التي تفرعت من أولاد شايع الدغيم والجرار والدويش وأكبرها الدغيم ، أما الصويان فهم الذين تفرعوا من نسل علي بن فلاح بن زهير (1) .

وهناك من يذكر أن أصلها من (ربيعة) من بلد العارض في نجد (2) وهناك من يقول أيضا أنها تنتمي إلى قبيلة (قحطان عبيدة) (3) ، وظهر من ينسبهم إلى الفريج من الجبور وعشيرة الفريج يطلق عليهم (عنابر العرب) كناية عن طيب أصلهم ، والزهير هم شيوخ الجبور وقادتهم وابن زهير هو أرفع مرجع قضائي لدى قبيلة بني صخر والمبدأ الذي يقرره يسير عليه جميع القضاة ويطلق عليه (قاضي القلطه) لأنه ينظر في القضايا التي تهم الرأي العام وتؤثر في الحياة الاجتماعية لدى سكان البادية ومن أبرز صلاحيات قاضي القلطه الصلاحية القضائية والتشريعية والمزدوجة التي تجمع الاثنين معا ومن هنا تأتي أهمية الزهير في حياة البدو ، ومن أهم المبادئ التي قام الزهير بتغييرها هي زواج ابن العم من ابنة عمه حيث قام الشيخ محمد الزهير مع الشيخ غضوب الزبن بدراسة هذا الموضوع واصدرا مبدأ حرما فيه هذه العادة من الزواج وجاء هذا المبدأ ليضع مجالا أوسع للزواج وكذلك شهادة الفلاح والتي لم يكن معترفا بها في ذلك الحين (4) ولكن بعض المصادر تذكرهم كعشيرة مستقلة عن الفريج (5).

نشأت هذه الأسرة في مدينة (حريملاء) (6) الواقعة شمال غرب الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية وحافظت على هويتها السعودية ولكنها انتشرت فيما بعد في الكويت والبصرة وتعتبر حريملاء مدينة زراعية تنتشر حولها قرى عديدة منها : صلبوخ والقرينة وصفرات وملهم ، وعلى بعد ثلاث كيلومترات منها يشاهد الزائر مشروعا على الجبال يطل على مساحات شاسعة من الأرض ومحاطة بحدائق غناء تحتوي على (4500) نخلة ، وقد بنيت هذه الحدائق على طريقة جنائن بابل المعلقة حيث تتألف من مدرجات زرعت فيها أنواع الزهور والأشجار المثمرة كالتفاح والليمون الحامض (7) .

هاجرت هذه الأسرة من نجد إلى الزبير(8) منذ أكثر من 200سنة واستوطنت جنوبه وبعض أفرادها اكتسب الجنسية العراقية وبعضهم حافظ على جنسيته الأصلية واستردها (9) وكانت هجرتها عندما انتشرت الدعوة الوهابية لأن الوهابيين قاموا بإجلاء بعض قبائل بلدة (حرمة) التابعة لبلدة السدير وبعض أهالي مدينة حريملاء التابعة لبلدة الوشم وكلاهما من مناطق نجد ولم تخضع هذه القبيلة للوهابيين (10) .

وأول من هاجر منها (يحيى بن سليمان الزهير) وولداه (يوسف وسليمان) وإلى يوسف ينسب تجديد جامع (النجادة) في الزبير عام 1807م (11) وأطلق اسمه

هذا نسبة لمن يسكن حوله من أهل نجد ، وفي عام 1915م قام (عبد المحسن الزهير) بتسقيف الجامع ب(الجندل) وبنى قبتين في الجدار القبلي إلى المنبر وأصلح الأساسيات وانتهى من ترميمه عام 1916م ومن أمواله الخاصة ، والجدير بالذكر أن عبد المحسن الزهير توفي في السنة ذاتها ودفن في مقبرة الحسن البصري الشهيرة ، وقد أشرف (محمد ألعومي) على ترميم الجامع (12)

وفيما يتعلق بأسباب نشوء مدينة الزبير على التخوم النجدية العراقية ، فإن ذلك يفسر لنا أسباب النشوء والتطور اللاحق ، فقد تمتعت الزبير بشخصية خاصة تختلف عن البصرة التي لا تبعد عنها أكثر من 25كيلومتر، فلغتها تختلف تماما عن لغة البصرة والناصرية شمالها وتختلف عن لهجات الجزيرة العربية رغم أن سكانها جاءوا إليها في أزمنة متفاوتة ومن أهم أسباب نشوءها وجود عدد من آبار الماء العذب التي تقف عندها القوافل التجارية للتزود بالماء لاسيما وأن الزبير مفصولة عن البصرة بسياج يمتد على طول المسافة بينهما مما يضطر قوافل الحجاج والتجار الوقوف عندها وقد شارك أهل الزبير في العمل مع أهل الكويت في مغاصات اللؤلؤ والسفر على متن السفن الكويتية وارتبط الزبيريون بوشائج قوية مع أهل الكويت ولجأ إلى الكويت عدد كبير منهم هربا من الصراعات المحلية ولاسيما الصراع الذي دار بين الزهير والثاقب (13) .

وهكذا كانت الزبير ملاذا لمن يقصدها ومأوى لمن يحتمي بها ، فعندما تعصف الفتن والصراعات بنجد أو تقسو الظروف على أهلها وتشح المياه وتجدب الأرض وتعم موجات القحط يتجه أبناء نجد شمالا وشرقا بهجرات جماعية وفردية ناشدين متسعا منة العيش في الزبير ، وعليه انتقلت قبائل من أهل نجد إلى الزبير واتخذوا منها إمارة نقلوا إليها عاداتهم وتقاليدهم بما فيها الصراع على الرئاسة حيث اشتدت المنافسة بين الأسر وقد حافظ أهل الزبير على هذه العادات والتقاليد وتوارثوها (14) .

وأما الزهير أصحاب التاريخ في الزبير فقد قدم بهم (يحيى الزهير) من حريملاء بعد مقتل أبيه في الصراع بين محمد بن سعود مع دهام بن دواس أمير الرياض سنة 1747م (15) وجاء إلى الزبير لعدة أسباب منها أن الزبير كنظام اجتماعي لم يكن عشائريا كما أنها تتمتع بموقع استراتيجي حيث قربها من مدينة البصرة وميناءها التجاري الذي كان يستقطب السفن الكبيرة ووجود عدد من أبناء نجد مقيمين في هذا المكان ، فضلا عن أن الأرض الواقعة بين البصرة والزبير غالبا ما تكون مغمورة بمياه الفيضان الزائدة من الأنهار وهذا ما يعيق حركة النقل ، كما أن الزبير بيئة صحراوية كبيئتهم التي جاءوا منها وهناك من يقول أن جو البصرة رطب وسكان الصحراء لا يتأقلمون مع هذا (16) .

وكذلك حدوث معركة بينهم وبين بني تميم حيث قام الزهير بذبح جميع أفراد عائلة الكنعان من تميم ولم يبق منهم سوى (محمد بن تركي بن نايف بن نواف

العمر) وكان عمره يناهز ست سنوات وأرجع إلى حوطة بني تميم - المقر الأصلي للقبيلة- وبعد أن أصبح عمره عشر سنوات سافر مع أفراد قبيلته إلى البصرة من أجل الثأر لأهله وبعد وصوله الزبير استقبلته عائلة السعدون زعماء قبيلة المنتفق (الفالح) وساعدوه بعدم تدخل الجيش العثماني في المعركة ، ومنذ ذلك الوقت ولحد الآن علاقة الكنعان والسعدون علاقة وثيقة ومتماسكة ، وقام محمد بن تركي بذبح أغلبية الزهير ولم يبق منهم إلا القليل واستقر في الزبير(17) .

وفضلا عن ذلك فإن المجموعات المهاجرة التي قدمت من نجد واستوطنت الزبير وليس المجموعة القليلة من العرب الموجودة أصلا في المنطقة لأنها كانت عبارة عن بتوتات قليلة ذابت وانصهرت وسط المجتمع الزبيري الجديد الذي أسسه هؤلاء المهاجرون وغالبيتهم إن لم نقل جميعهم منذ تأسيسها نحو أربعة قرون إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى بسنوات قليلة كانوا من النجديين الذين قدموا مهاجرين من مناطق مختلفة وعلى دفعات متعددة مع العلم أن قسما منة النجديين خرجوا إلى مناطق مجاورة أخرى خاصة أيام النزاعات والحروب في نجد (18) .

أما كيف سمحت لهم القبائل ، فالزبير كنظام اجتماعي لا توجد فيها سطوة من قبل جماعة على غيرها كما هو الحال في باقي إمارات الخليج العربي ، ولم تكن لهم أعلام وبيارق ، وأهل الزبير كأغلبية هم جاءوا أفرادا للعمل وليسوا جماعة واحدة من نسب واحد وللتوضيح فإن أبرز من نازع الزهير على المشيخة هم الوطبان والثاقب وهم جماعة كانوا في الزبير منذ بداياتها ولذلك كان لهم وجود في المشيخة ولهم نسب مع الصباح والسعدون مشايخ المنتفق وكذلك العون وهم من أهل حرمة ودارت بينهم وبين الزهير مشاكل (19) .

بنى (يحيى الزهير) والذين هاجروا معه بيوتا لهم من القصب في الزبير ، وبعد أن دخلت الزبير في حوزة العثمانيين عام 1546م رأت الحكومة العثمانية أن تبني مسجد ضريح الزبير(20) كما أبرمت اتفاقية بين الشيخ (يحيى بن محمد الزهير) والقاضي (إبراهيم بن محمد بن جديد) نيابة عن أهل الزبير مع الوالي العثماني عام 1797م وأهم بنودها : هو تمتع إمارة الزبير بالاستقلال الذاتي ضمن سلطة الدولة العثمانية ، وأن لا تتدخل حكومة البصرة العثمانية في سياسة الزبير الداخلية ، وأن يعفى أهل الزبير من الضرائب ومن الخدمة العسكرية ، وتقوم الدولة العثمانية بتزويد الزبير بوسائل الدفاع عن نفسها خارجيا ، وإخماد الفتن الداخلية (21) .

ومن هنا أصبح لآل زهير دور سياسي واقتصادي واجتماعي في الزبير وفي كل ولاية البصرة وأصبح لها صلات تجارية واسعة مع الهند ومع شركات أجنبية وكان لها دور رائد في رفع شأن إمارة الزبير وظهورها على مسرح الأحداث وحكمت هذه الأسرة الزبير ما يقارب من أربعة عقود ، وكانت الزبير في حالة

بدائية بسيطة لم يشيد فيها من الدور إلا القليل وكانت مهددة من البادية من قبل الوهابيين ، فلما سكنت أسرة الزهير فيها أخذت تتسع وتتطور(22) .

ونتيجة لهذه الغزوات سافر وفد من أهل الزبير يقودهم (يحيى الزهير) إلى بغداد لمقابلة الوالي العثماني سليمان باشا(1782-1802) والذي أمر بتشييد سور لصد الهجمة الوهابية فبناه سنة 1797م وبإشراف الشيخ (إبراهيم بن ناصر بن جديد) قاضي الزبير بحيث يكون له أربعة أبواب ويقال أن عرض السور كان ستة أذرع ومارس دورا بارزا في صد جميع الهجمات التي تعرضت لها البلدة كما زودت الشيخ يحيى بمدافع نارية لوضعها على السور وكمية من الأسلحة لتوزيعها على الأهالي وأقرت الحكومة العثمانية رواتب لأهل الزبير وعليه فإن (يحيى الزهير) يعد أول حاكم للزبير إذ لم يعرف أحد قبله (23) .

بعد وفاة (يحيى الزهير) عام 1798م انتخب أهل الزبير ابنه (يوسف بن يحيى الزهير) ليخلفه في الحكم وخاصة بعد أن سافر ابنه الآخر(سليمان) إلى حلب في سوريا ، وكان يوسف من ذوي الثروة والجاه في البصرة وقد أقره في منصبه هذا (محمد كاظم أغا) متسلم البصرة وفي عهده أخذت بعض القبائل العربية بالهجرة إلى الزبير وقتل يوسف الزهير على يد الشيخ (عيسى بن محمد الثامر) شيخ المنتفق أثر حصار الزبير عندما خدع الشيخ يوسف واقتحم السور وأوقعه في الأسر عام 1823م وكان أن هاجر الشيخ (إبراهيم بن ثاقب) الذي أسندت إليه مشيخة الزبير عام (1821م) (24) .

وتولاها بعده (محمد بن إبراهيم بن ثاقب) إلى أن تركها بعد ستة شهور ورحل إلى الكويت سنة 1822م ، وكان محمد الثاقب يحسد(يوسف الزهير) قبل مقتله على ثروته وعلى كسب ود الناس له ولذلك حصل التباعد بينهما ، فاتهم محمد الثاقب يوسف الزهير ظلما وعدوانا بأنه حرض بعض الناس لدس السم إلى (راشد بن ثامر السعدون) شيخ المنتفق وتصدى محمد الثاقب وكيلا عن المنتفق في أخذ الثار لهم ، فلما شاع هذا الخبر استعد يوسف الزهير وأتباعه لملاقاة محمد الثاقب وعندما تيقن الأخير بعدم قدرته على مواجهة يوسف الزهير بالغدر والحيل جمع رجاله وأمرهم بدخول الزبير والهجوم على يوسف الزهير بالرصاص غير أن هؤلاء ردوهم على أعقابهم وأخرجوهم من الزبير ، الأمر الذي دفع بمحمد الثاقب وجماعته الدخول إلى البصرة فمنعهم المتسلم تظاهرا منه وإلا فإنه في حقيقته كان يميل إلى محمد الثاقب ويكره يوسف الزهير ، فرجع قوم محمد الثاقب ونزلوا عند نهر معقل وظلوا هناك أياما فيها فهاجمتهم عصابة ونهبتهم ، فقيل أن تلك العصابة هي من قبل يوسف الزهير ، ثم ارتحل محمد الثاقب وعاد إلى الزبير(25) ونتيجة لذلك اشتدت المنافسة بين البيتين العربيين على المشيخة أدت إلى تدخل حمود الثامر وقتل يوسف الزهير على يد ولده عيسى ، ولكن تدخلت الدولة العثمانية وقتلت محمد الثاقب رميا بالرصاص وغرمت القبائل وشيوخها (26) .

وجاء بعد يوسف ابنه (علي باشا الزهير) عام 1727م فاستقرت الأحوال وصارت له شهرة كبيرة ولكنه أصر على الأخذ بثأر أبيه من آل ثاقب لاعتقاده بأنهم السبب المباشر في مقتل أبيه، وقد أشار(علي باشا الزهير) بتعيين (ناصر الإبراهيم) شيخا بعد تنازله وكان ناصر من مؤيدي سياسة الزهير، وفي عام 1825م أصبح ناصر شيخا ولكن القول والتدبير كان بيد علي الزهير، وكان قصد علي الزهير في هذا هو تهدئة الرأي العام وطمأنة الناس حتى تحين الفرصة ويعتلي كرسي المشيخة بنفسه ، وظل ناصر الأبرا هيم في مشيخته حتى قتل عام 1827م ، وكان سبب مقتله حدوث خلاف في الزبير نتيجة حفر بئر في بيت (سلمان بن عبد الله السميط) أدى إلى تدخل (محمد بن فوزان السميط) الذي قتل الشيخ ناصر الإبراهيم بعد صلاة العصر، وبسبب ذلك قدم آل إبراهيم وآل راشد وآل زهير ودارت معركة بين الفريقين انتهت بالوساطة بينهما على الصلح حيث عقد اجتماع حضره أعيان ومشايخ الزبير وكتب (محمد بن سلوم الفرضي) عقد الصلح الذي تضمن الكثير من العهود والمواثيق وشهد عليه ثمانية وعشرون شاهدا من كبار القوم وختموه بأختامهم وصادق عليه عشرة من علماء الدين منهم الشيخ محمد بن سند والشيخ محمد بن أمين الشنقيطي والقاضي الشيخ ناصر بن محمد بن جديد ، وبعد فترة قصيرة من إبرام الصلح أراد آل إبراهيم وآل راشد وآل زهير نقض الصلح ولم يتمكنوا إلا بواسطة (عزيز أغ ا) متسلم البصرة حيث أوغروا صدره على(جاسر بن موزان السميط) وأشاروا على المتسلم بدعوة جاسر فلما استدعي جاسر من قبل المتسلم نصحه بعض أصدقائه بعدم الذهاب فلم يستجب لنصحهم وتوجه مع أتباعه إلى البصرة ومنهم أحمد ضاحي بن عون وعوده إبراهيم بن سليمان الفداغ وغيرهم ، ولما علم الراشد والزهير قدموا إلى البصرة وكمنوا في نخيلهم ، ولما دخل جاسر ومعه عدد من الرؤساء على المتسلم أخذ الأخير يشتم الإبراهيم والزهير ليموّه عليهم ،وبعد أن قابل جاسر بن موزان المتسلم غادر هو وأتباعه المكان ليقعوا في كمين آ ل إبراهيم ثم ألقي جاسر ومن معه في السجن ثم أمر عزيز أغا بقتله ورمى بجثته من فوق مقر الحكومة ولكنه أفرج عن أتباعه وعادوا إلى الزبير(27) .

ويقال أن (علي باشا الزهير) قد أساء إلى الشاعر المعروف (محمد بن لعبون) مما أضطره لمغادرة الزبير بصحبة الشاعر (عبد الله بن ربيعة) وحين وصل الاثنان إلى (الدريهمية) سمعا صوتا غريبا فقال ابن ربيعة (ذا حس طار) وهو يريد تذكرة ابن لعبون بجلسات السمر التي سيفتقدها خارج الزبير فرد عليه بالأبيات التالية (28) :

ذا حس طار وضميرك خفوقه يدق به من نازح الفكر دقـــــاق

الحي هو حيك وطابت وفوقــه والدار هي دارك وهذيك الأسواق
بع بالهجير وصال حي تشوفه دار عساها للرزايا بتيفـــــــاق

وفي أواخر عهد (علي باشا الزهير) أي عام 1830م في عهد الوالي العثماني (علي باشا) هجمت عشيرة بني كعب على البصرة فقاتلهم البصريون بزعامة الزهير ومساندة بني عقيل النجديين وتمكنوا من طردهم خاسرين (29) وفي هذه الظروف ثار أهل الزبير على (علي باشا الزهير) فأضطر للسفر إلى الكويت ولكنه مات بمرض الطاعون عام 1831م ، فجاء بعده أخوه(عبد الرزاق الزهير) وكان راجح العقل كريم النفس محبوبا لدى قومه على اختلاف طبقاتهم وقد حاصر الزبير في تلك السنة (حمود بن ثامر السعدون) واستمر حصاره ستة أشهر وأهلها يقاومونه ولما لم ينل طائلا منهم عزم على الرحيل والعودة إلى مقره ، غير أن(محمد الثاقب) تعهد له بأن يسهّل عليه دخول الزبير وسعى في ذلك حتى تم له الأمر مع الراشد أهل حريملاء وهم من أعيان الزبير ثم عاد إلى الشيخ حمود واخبره بنتائج سعيه ولكنه طلب أن يكون شيخا على الزبير بعد احتلالها وان لا يدخلها أحد من المنتفق خوفا من الفتنة ، وأجابه الشيخ حمود بالموافق ة قائلا له : ليس لنا قصد سوى الأخذ بالثأر من الزهير، فتعهد ابن الثاقب بتسليم (عبد الرزاق الزهير) للشيخ حمود وطلب ابن الثاقب كفيلا على إتمام الأمر ، فاستقدم حمود رئيس الظفير(سلطان بن سويط) فلما حضر هو ومن معه من مشايخ خزاعة (جماعة ابن مناع) وأمرهم بأن يتعهدوا لأبن ثاقب بما جرى عليه الاتفاق فتكفل سلطان بن سويط بذلك ، وعند ذلك توجه ابن الثاقب مع جماعة من ربيعة ليلا نحو شمال الزبير وهناك وجد عبد الرحمن بن مبارك الراشد مع حاشيته مستعدا لملاقاته وذهبوا حتى تمكنوا من القبض على الشيخ (عبد الرزاق الزهير) وأخوته ومن يلوذ به من بيوتهم ثم نادوا للبلدة بالأمان في حين فر(سليمان بن عبد الرزاق الزهير) و(راشد بن ثامر السعدون) ملتجئين إلى الشيخ جابر الصباح حاكم الكويت (30) .

ويبدو أن دخول الزبير جاء بناء خيانة من أهلها عندما فتحت أحد أبواب السور للمنتفق الذين هاجموا دار (عبد الرزاق الزهير) خلسة وأسروه (31) ، ويقال أنه حين اشتد حصار الزبير كان سلطان بن سويط رئيس عشائر الظفير وهو أحد أصحاب شيخ الزبير (عبد الرزاق الزهير) كان يرقب المعركة عن كثب وحز في نفسه مصير المحاصرين الأبرياء فكلم عبد الرحمن بن مبارك بفتح أحد أبواب السور والدخول لمفاوضة الزهير على أساس أن حمود بن ثامر لا يطلب سوى رأس عبد الرزاق الزهير وسمح له بهذه المقابلة السرية وطلب من ابن الزهير فتح الأبواب بعد أن عرض عليه مجموعة جياد ليلوذ بها بالفرار ، فاستشار عبد

الرزاق قومه وأجابوه : بأنهم لن يسلموه للعدو ، وقرر هو عدم الفرار ، ولكن حدثت النكبة (32) .

فقد هوجمت دار الشيخ (عبد الرزاق الزهير) وأسر، وأراد أن يفتدي نفسه فقال إلى الشيخ عيسى : ((ياطويل العمر أحمران لا يجتمعان دم أحمر وذهب أحمر فاختر أحدهما ، إن أردت سفك دمنا فهانحن جميعا بين يديك وإن أردت الذهب فعاهدنا على الأمان ونحن نعطيك ما تشاء)) وكاد الشيخ عيسى أن يقبل فدية عبد الرزاق الزهير لولا معارضة أبناء ثامر ومن ثم أخذ عبد الرزا ق الزهير وأسرته خارج الزبير وقتلوا صبرا ، حيث حكم (محمد بن إبراهيم الثاقب) وتولى المشيخة للمرة الثالثة بعد مقتل الشيخ عبد الرزاق الزهير عام1833م (33) .

وكان (أبو السفاح) متسلم البصرة يخشى من محمد الثاقب ويعده خطرا ، وأن الأمور لن تستقر بالبصرة إلا بالتخلص منه لاسيما وأن الزهير حاولوا الأخذ بالثأر من محمد الثاقب الذي كان يوالي المنتفق مع الشيخ عيسى أثناء حصار الزبير ، وكان لآل زهير نفوذ في البصرة وبغداد حيث رفعوا شكوى إلى بغداد ضد محمد الثاقب ، وفي سنة 1836م سافر أبو السفاح متسلم البصرة إلى بغداد ، ثم عاد إلى البصرة وأرسل على الشيخ محمد الثاقب للتداول في بعض الأوامر الصادرة من الوالي العثماني (علي باشا) فتوجه ابن الثاقب إلى البصرة مع جمع من أتباعه ومعهم البيارق والسلاح والطبول ، لكن المتسلم أعد كمينا لابن الثاقب وأطلق النار عليه ورمى بجثته من أعلى السراي وصدرت الأوامر بنهب داره مما اضطر الثاقب وأتباعهم التوجه إلى الكويت عام 1836م ، ولم يتخلف منهم سوى (أحمد بن إبراهيم بن ثاقب) الذي كان مرتبطا مع الناس بمعاملات تجارية ، غير أن متسلم البصرة (أبو السفاح) كان قد عزل عن ولاية البصرة وأرسل مخفورا إلى بغداد بناء على أوامر الوالي (علي باشا) ومن ثم نفي إلى الاستانة ، وتولى البصرة من بعده (محمد صالح زيارة) عام 1838م ، أما في الزبير فقد انتخب أهالي الزبير الشيخ (علي محمد الثاقب) لمشيختها بعد وفاة شيخها (أحمد المشري) ، فعاد ابن الثاقب من الكويت إلى الزبير فعلا لكنه شعر بقرب اشتعال فتنة فيها فترك المشيخة وعاد مع بعض أفراد أسرته إلى الكويت (34) .

ويذكر انه في 24 نيسان 1866م وحسب تقرير كتبه المستر جونسون الوكيل البريطاني في البصرة أن حاكم الكويت الشيخ (صباح بن جابر) أرسل ابنه وولي عهده عبد الله إلى البصرة للنظر في خلاف وقع مع عائلة الصباح وعائلة الزهير حول ملكية بساتين نخيل في الصوفية وأنه بعد وصول الشيخ عبد الله إلى البصرة ومراجعة دار الحكومة صدرت الأوامر بإلقاء القبض على عبد الله الصباح وإيداعه في السجن حتى تتم تسوية القضية ، غير أن(سالم البدر) وهوة تاجر معتبر من أبناء الكويت عرض بأن يكفل عبد الله الصباح بنفسه حتى لا يتعرض إلى إهانة السجن وأفرج عنه (35).

ويقال أن الزهير راجعوا الحكومة العثمانية فيما يخص مقتل ابن عمهم وثبّتوا الخيانة على(محمد الثاقب) فحوكم بالإعدام حيث جلبته الحكومة العثمانية إلى البصرة وأعدمته رميا بالرصاص وأعادت إلى مشيخة الزبير آل زهير فعينوا من جانبهم (أحمد المشري) إلى أن توفى فعينوا بدله (علي بن محمد الثاقب) الذي تركها وذهب إلى الكويت (36) .

أما(سليمان بن عبد الرزاق الزهير) فبعد أن قتل أبيه صبرا على يد شيخ المنتفق هرب إلى الكويت فأجاره الشيخ(جابر الصباح) وأهدى له مقاطعة (الصويفية) ، وبعد أن قضت الحكومة العثمانية على آل ثاقب عاد(سليمان الزهير) إلى مشيخة الزبير(37) ، حيث عين من جانبه (عبد اللطيف بن محمد بن عون) من أهل(حرمة) نسبة إلى بلدتهم في نجد ، وفي زمنه حدثت واقعة (حرمة) عام 1872م وهي أن أهل حرمة أخذوا يضغطون على أهل الزبير ظلما وعدوانا وخاصة على من يوالون الزهير ، لاسيما وأن شيخ الزبير كان من أهل حرمة وهو موالي لآل زهير ظاهريا ولكنه كان في الواقع حاقدا عليهم لأنه عصى عليهم وسلب المشيخة من الزهير وعاملهم معاملة قاسية مما اضطر معظم أهل الزبير للفرار إلى البصرة وشكوا أمرهم إلى الحكومة (38) . ويقال أن بعض القبائل الأعجمية - والأغلب أنهم من العناصر الإيرانية- تحالفت مع شيخ المنتفق واستولوا على نخيل البصرة فقام متسلم البصرة يعاونه سليمان الزهير وهزموهم (39) .

ولما عزل(سليمان الزهير) عن ولاية البصرة حل محله قائمقام عثماني ، وكان ابنه الوحيد الذي بقي على قيد الحياة هو (قاسم باشا الزهير) زوج (ثريا الفداغ) - التي مر ذكرها- وكان أكثر الرجال رسوخا ونفوذا في البصرة ، ولما تعرضت الباخرة البريطانية (كاشمير) لغزاة في الخليج العربي في تموز 1873م بذل كل من قاسم الزهير وناصر السعدون جهودهما للقبض على الجناة ونجحا في ذلك وقد قدمت حكومة الهند البريطانية ساعة وسوار إلى قاسم الزهير لأنه رفض قبول تغطية المصاريف من الإنكليز(40) .

والملاحظ أنه في ذات السنة التي توفي فيها سليمان الزهير أي في سنة 1876م حصل بعض التباعد بين أهل الزبير وبين آل الزهير لأسباب منها: أن الشيخ سليمان كان يغامر بشباب الزبير في حروب الدولة العثمانية ضد أعداءها وهي حروب لا ناقة لأهل الزبير فيها ولا جمل كحرب المحمرة وحرب الشلامجة وبني فهد ، وكذلك بسبب أن الاتفاقيات الدفاعية المشتركة المعقودة بين إمارة الزبير من جهة وحكومة ولاية البصرة العثمانية من جهة أخرى لم تطبق تطبيقا متكافئا كما نصت بنودها ، فقد قدم شباب الزبير الكثير من التضحيات في الحروب التي خاضتها إلى جانب الدولة العثمانية ، في حين أن الأخيرة لم تساند أهل الزبير حين هاجمها كريم خان ألزندي الإيراني ، وعلى أثر هذا التباعد غادر الشيخ سليمان الزهير الزبير واستوطن البصرة بعد أوكل أمر الزبير إلى هيئة مؤلفة من

عبد الله الحميدان وعبد اللطيف بن محمد العون وعبد الله بن عبد الرحمن الإبراهيم ، غير أن هذه الهيئة لم تتمكن من ضبط مشيخة الزبير حيث انفرد فيها عبد اللطيف العون يساعده عبد الله الإبراهيم الذي تعهد بنفي جميع أسرة الزهير من الزبير وأعد إبلا وحميرا لذلك ، ثم نقلهم إلى البصرة إلا (ثريا الفداغ) زوجة(قاسم الزهير) التي كانت تدير الأمور بغيابه وحمت أكثر النساء اللاتي طردن من قبل عبد الله الإبراهيم وكان لها من أعمال البر والإحسان الشيء الكثير (41) .

وفي خضم تلك الأحداث وصل البصرة تاجر من عدن يدعى(فهد بن محمد الراشد) وأصله من حريملاء وكان وكيلا لبعض تجار أهل الزبير ومن بينهم الشيخ (سليمان الزهير) فسعى للصلح بينهما ، وأرسل الشيخ سليمان الزهير هدية من التمر محملة على الإبل للشيخ عبد الله الإبراهيم ولما عرف أهل حرمة والشيخ عبد اللطيف العون بذلك صمموا على التخلص من عبد الله الإبراهيم وعهدوا هذه المهمة إلى (فراج بن محمد اللعبون) وهو من كبار أهل حرمة و(زيد بن شقير) وكان يحمل السلاح خلف الشيخ عبد اللطيف العون ، وقد وقف فراج اللعبون وزيد بن شقير قرب باب مسجد الإبراهيم المجاور لدار عبد الله الإبراهيم وكان الفصل صيفا والصلاة في ساحة المسجد ، وكان عبد الله الإبراهيم يؤم المصلين ، وبعد انقضاء الصلاة تقدم الاثنان وأطلقا النار عليه فأصيب بكتفه وأغمي عليه فظنا أنه قد مات ثم لاذا بالفرار ، ولكن الشيخ عبد الله الإبراهيم لم يمت وحمل من المسجد على الفور إلى بيت (محمد بن موسى الفارس) وحمل بعد ذلك وأخفي في بيت (عبد الله المحطب) ثم نقل على حمار إلى البصرة وهناك استقبله الشيخ (سليمان الزهير) وعرضه على أحد الأطباء وشفي من الإصابة ، ولما تبين لأهل حرمة انحياز بعض أهل الزبير الموالين لآل زهير وآل راشد لسليمان الزهير في موقفه الأخير ، قاموا بنفي آل فارس وآل مطلق وآل نصار وآل مشري من الزبير(42) .

وكان(سليمان الزهير) وكيلا على أملاك الشيخ ناصر السعدون شيخ المنتفق ، وبعد تعيين الشيخ ناصر واليا على البصرة ظل الشيخ سليمان مستمرا على وكالته وشيخا على الزبير مما أغاض الأعداء وجعلهم يلقون العداوة والبغضاء بينهما ، الأمر الذي جعل الشيخ ناصر السعدون يرفع يد الشيخ سليمان الزهير عن أملاكه وطلب محاسبته وضيق الخناق عليه ، وكان لدى الشيخ سليمان الزهير مبلغا كبيرا من المال أعطى للشيخ ناصر قسما منه نقدا وما بقي جعل نخيله رهنا عند الشيخ ناصر وذهب إلى (دائرة سجلات أملاك البصرة) وأجرى معاملة الرهن بإسم الشيخ ناصر رسميا ، ولما اشتد الخلاف بينهما أصدر الأخير أمرا بعزل الشيخ سليمان الزهير عن مشيخة الزبير وعين بدله عدوه(عبد اللطيف بن محمد بن عون) ، وبعد انتهاء معاملة الرهن غادر الشيخ سليمان البصرة متوجها إلى الهند ومنها إلى مكة المكرمة حيث أدى فريضة الحج ثم عاد إلى البصرة مريضا وتوفي في الزبير ودفن فيها عام1876م (43) .

وبعد ذلك ذهب (عبد اللطيف العون) يصحبه بعض أعيان الزبير من أهل حرمة ليبرئوا أنفسهم أمام الوالي من أنهم لا علاقة لهم بالفتنة ولم يسيئوا لأحد ، وكان والي البصرة (أشرف باشا) قد اتضح له أن قسما من أهل الزبير طردوا دون ذنب فأمر باعتقال عبد اللطيف العون وأطلق سراح الباقين وطلب من أهل الزبير الفارين العودة إليها ولكنهم خافوا ، فأرسل (أشرف باشا) ثلة من الجند العثماني بقيادة(صالح أغا طابور أغاسي) ولما وصلوا الزبير كان أهل حرمة قد أغلقوا الأبواب وقاموا بحراسة السور من الداخل ، وهنا برزت شخصية (ثريا الفداغ) زوجة قاسم الزهير لتقود المعركة من الداخل ، حيث استدعت خادمها(بلال الريحان) وقد جمع قسما من الذين عرفوا بعدم تأييدهم لأهل حرمة والموالين لآل زهير وآل راشد وأدخل هؤلاء دار ثريا الفداغ المشرفة على السور وأطلقوا نيرانهم على حرس السور ولما فر الحرس فتح الباب ودخل الجند العثماني ومعهم الزهير وأتباعهم ، وهنا أسندت مشيخة الزبير في عام 1874م إلى الشيخ (إبراهيم بن عبد اللطيف الزهير) وعين (عبد الله بن إبراهيم الراشد) معاونا للشيخ إبراهيم (44) .

وفي عام 1876م أصبح (ناصر السعدون) شيخ المنتفق حاكما عاما على البصرة وكان يتفوق على (قاسم الزهير) نفوذا ومكانة ، إلا أن الأخير كان يتفوق على ناصر السعدون كفاءة ، وكلاهما تعاون على إدارة البصرة ، لكن الخلاف سرعان ما دب بينهما مما أفسد علاقاتهما ، حيث ذهب (قاسم الزهير) إلى بغداد وأقنع الوالي هناك على عزل (ناصر السعدون) من منصبه واستدعي إلى اسطنبول وبدأ بينهما صراع قانوني طويل طلب كل منهما بموجبه تعويضا من الثاني ، وصرفا من أجله مبالغ ضخمة من باب الرشوة ، ثم عاد قاسم الزهير إلى الزبير وقام بتأدية واجباته وبكفاءة بالغة ، مما أثار حسد الأتراك الذين طلبوا منه العودة إلى بغداد حيث ألقي القبض عليه وحاول التوسط في إحدى القضايا الجنائية ، ولكنه استدعي إلى اسطنبول في أيار 1880م وظل مسجونا ثم أفرج عنه وعين في المجلس الأعلى فيها في حين ظل ناصر السعدون مسجونا هناك (45) .

والمعروف أن (قاسم الزهير) لقب بالباشا ولقب أبيه (جلبي) ومعناها ابن الباشا ولكنه لم يحصل على لقب شرفي مثل (بيك أوبيه) وهي ألقاب شرفية رفيعة في الدولة العثمانية وأعلاها لقب باشا ، وكان لقاسم الزهير قرابة سبعة آلاف جريب من النخيل والجريب يساوي مائة نخلة(46) .

ويذكر أنه بعد وفاة (سليمان الزهير) طلب الشيخ (ناصر السعدون) قبل سجنه في اسطنبول من (قاسم الزهير) فك الأملاك المرهونة لكنه امتنع وحصلت العداوة بينهما ، فأمر الشيخ ناصر بالقبض على قاسم الزهير لسجنه ، ولما علم قاسم الزهير بالأمر فر سرا من البصرة قاصدا اسطنبول ، وهنا أطلق الشيخ ناصر السجناء من أهل حرمة ، أما عن سبب العداوة بين ناصر السعدون وقاسم الزهير

فهو: أنه لما عزل ناصر السعدون سليمان الزهير كان الأخير عازما على مغادرة البصرة فأخر النقود عنده ورهن أملاكه مقابل الدين الذي عليه وذلك خشية أن يتصرف في أملاكه صهره قاسم الزهير أثناء غيابه لأن الأخير كان غاية في الكرم والسخاء ولطالما أخذ من الشيخ سليمان أموال وفرّقها في الكرم وإسداء المعروف ، فاستحسن سليمان الزهير بأن يؤخر دفع بعض الدراهم التي استوفاها من أملاك ناصر السعدون ويرهن أملاكه مقابل الدراهم لأمور هي :

1- حفظ أملاكه من صهره قاسم الزهير أو من والي البصرة .

2- أن يحصل عل مبلغ معتبر من المال يستعين به على السفر.

غير أن (سليمان الزهير) عاد مريضا وتوفي ووضع ابن خاله وصهره قاسم الزهير يده على ثروته الواسعة فبلغ ذلك (ناصر السعدون) فطلب من قاسم الزهير فك الرهن من الدراهم التي حصل عليها من تركة سليمان الزهير لكن قاسم امتنع عن فك الرهن وبيع النخيل المرهونة ، الأمر الذي اضطره للفرار من البصرة فتصرف الشيخ ناصر بأملاكه المرهونة وهي : (الدعيجي والشلامجة والدرة والطويلة والعجيراوية وكوت خلفة صالح والبدعة) ، ويقال أن ناصر السعدون أعطى (الدعيجي) إلى اليهودي (دانيا ل) هبة فقبلها وسجلها باسمه في دائرة سجلات الأملاك في البصرة رسميا ، غير أنه بعد عزل ناصر السعدون عن ولاية البصرة استرجعت تلك الأملاك منه وكذلك أملاك آل زهير ولكن بعد أن دفع قاسم الزهير ما بذمته من دين (47) .

ثم عين آلزهير الشيخ(عبد الله بن إبراهيم الراشد) شيخا ولكن بعد تنازل الشيخ إبراهيم الزهير عام 1886م وكان حازما عاقلا تقيا مشهودا له بالشجاعة والإقدام فاستقامت له الأمور ، غير أن أهل الزبير تضرروا من أعمال كان يقوم بها بعض اللصوص وقطاع الطرق في عهده فرفعوا الأمر إليه ، ثم استقر الرأي على انتخاب رجل ذي غيرة واستقامة ليتولى الإشراف على تطهير البلدة من اللصوص ويكون بصفة مختار عام ، فوقع الاختيار على الشيخ(عبد الله بن أحمد البطاح) فقام الرجل بواجبه خير قيام وأخذ يتعقب المفسدين ويراقب الدور ليلا ، وبقي الشيخ عبد الله البطاح مختارا عاما للزبير إلى أن قتل عام 1897م ، وبعد هذه الواقعة صمم أهل الزبير على رفض مشيخة عبد الله الراشد ورفعوا الأمر إلى والي البصرة ، الأمر الذي أدى إلى عزله عن المشيخة وغادر الزبير متوجها إلى البصرة ومنها إلى الكويت وذلك في عام 1897م وأقام فيها هو وأفراد أسرته (48) .

وبعد عزل الشيخ (عبد الله الراشد) عن مشيخة الزبير تولى المشيخة (إبراهيم العبد الله الإبراهيم) ، فأعلن عفوا عاما عن جميع الهاربين من الزبير إلى البصرة والكويت ودعاهم إلى الرجوع واستطاع أن يدير شؤون الزبير على أحسن ما يرام واتسم عهده بالعدل والأمان ، وظل يدافع عن الزبير وأهلها ، وأصبحت لهم مهابة

، وجرت في أيام حكمه معركة (الشعيبة) الشهيرة بين القوات العثمانية والقوات البريطانية في 24 نيسان 1915م والتي انتحر فيها القائد التركي سليمان عسكري وتنازل الشيخ إبراهيم العبد الله الإبراهيم عن مشيخة الزبير إلى الحكومة العراقية التي تشكلت عام 1922م وتعيين الملك فيصل الأول ملكا على العراق حين قدم الشيخ إبراهيم تنازلا خطيا إلى الوزير توفيق ألخالدي وبه تكون فترة حكم المشيخات في الزبير قد انتهت ، والمعروف أن الشعيبة لا تبعد عن الزبير سوى ثمانية كيلومترا (49) .

وكانت القوات البريطانية قد أرسلت أحد الضباط إلى الزبير قبيل معركة الشعيبة للتفاوض مع شيخها من أجل السماح للقوات البريطانية الدخول إلى المدينة لغرض المحافظة عليها من القوات العثمانية ، فأبى الشيخ ذلك قائلا : ((إن عملكم هذا يسبب لنا خطرا من جانب الأتراك لأنهم سوف يسيئون الظن بنا وقد يجرهم ذلك إلى مهاجمتنا فالأحرى أن تتركونا وشأننا)) وقد اقتنع الضابط البريطاني بذلك القول وعزم على العودة إلى معسكره ، وفي اليوم التالي لهذه المقابلة قدم إلى الزبير معاون القائد التركي العام (سليمان العسكري) من الشعيبة وقابل الشيخ إبراهيم طالبا منه جنودا يقاتلون معه ، لكن الشيخ إبراهيم اعتذر وقال له أنه يحتاج الرجال للمحافظة على المدينة وهكذا ترك البريطانيون والعثمانيون ليخوضا معركة الشعيبة دون تدخل من أحد ، وقد انتصر البريطانيون في هذه المعركة والتي دامت يومين تعرضت فيها الشعيبة لقصف المدافع التركية(50).

مساهمات الزهير الصحفية والعلمية :

كان لأسرة الزهير دور بارز في الصحافة ووسائل الإعلام وهي من أقدم الأسر التي مارس أفرادها الصحافة في كل من العراق وتركيا في مطلع القرن العشرين ، فقد أسس (أحمد باشا الزهير) جريدة (الدستور) وطبعتها العربية ، فضلا عن صدورها بلغات أخرى في مدينة (اسطنبول) في 4 تشرين الأول 1908م ، وجريدة الدستور العربية كانت مناصرة لجمعية (الإخاء العربي – العثماني) ولسان حالها (51) وهي جريدة أسبوعية ظهرت بأربع صفحات ، وقام (عبد الله الزهير) في 22 كانون الثاني 1912م بإصدار الطبعة العربية من جريدة الدستور في البصرة ، وتعد مصدرا مهما من مصادر دراسة تاريخ البصرة في أواخر العهد العثماني ، وهي جريدة حزبية إصلاحية سياسية لسان حال حزب الحرية والائتلاف في البصرة وهي آخر جريدة بصرية صدرت في العهد العثماني وكان عبد الله الزهير صاحبها ومديرها المسؤول ثم أصبح(عبد الوهاب الطبأطبائي) مديرها المسؤول بعد العدد الرابع عشر وبعد ذلك تنازل الزهير للطبأطبائي نهائيا عن الجريدة بعد العدد الرابع والستون ثم توقفت عن الصدور ، وبعد تعطيل الجريدة أصدر عبد الوهاب الطبأطبائي جريدة سماها (صدى الدستور) (52) .

وقد أجرت جريدة (الدستور) أول لقاء صحفي مع الملك (عبد العزيز السعود) بعد دخوله الأحساء في أكتوبر تشرين الأول 1913م ، وأجرى هذا اللقاء (إبراهيم بن عبد العزيز الدامغ) وهو من أهالي (عنيزة) الذين أقاموا فترة في العراق ، وعبد الله الزهير ينتمي إلى عائلة بصرية ثرية وهو من رواد الصحافة الأوائل في البصرة ، عمل بالسياسة نائبا عن ولاية البصرة في (مجلس المبعوثان) العثماني ، فضلا عن كونه عضوا في حزب الحرية والائتلاف ، وعرف بمواقفه الإصلاحية والقومية (53) .

وكان (أحمد باشا الزهير) هو الآخر أحد المبعوثين الذين مثلوا العراق في مجلس المبعوثان في اسطنبول ، وكان ينازعه في هذا المنصب (طالب النقيب) ، وكان الاثنان في صراع شبه دائم ، لا يكادان يتواجدان في البصرة إلا على مضض ، وكان أحمد باشا الزهير يقف إلى جانب (محمد براك العصيمي) و(عجمي السعدون) ويرفع قضاياهم إلى المجلس في حين كان طالب النقيب يقف ضدهما ، وكل منهما كان طامعا في الإمارة (54) .

والجدير بالذكر أن (طالب النقيب) ومن خلال حزب الحرية والائتلاف أراد أن يمد نفوذه إلى بقية أنحاء العراق وبعث برسائل ووفود إلى مناطق أخرى بغية افتتاح فروع للحزب فيها ، وأراد النقيب أيضا أن يظهر ممثلا للناس في بغداد بوسائل عديدة حيث كان يرسل برقيات إلى اسطنبول يستعرض فيها مشاكلهم بعد أن أسس في آب 1911م صحيفة ناطقة باسم الحزب ، وفي عام 1913م جرت الانتخابات في بغداد والبصرة والعمارة وحصل حزب الحرية والائتلاف على المقاعد السبعة المخصصة للبصرة بالرغم من معارضة وتدخل السلطات العثمانية لصالح عناصرها ، وبفوز حزب الحرية والائتلاف أرسل أثنين من الفائزين في الانتخابات كممثلين في البرلمان في اسطنبول حيث مجلس المبعوثان ، ومن أبرز الفائزين طالب النقيب وعبد الله الزهير وأحمد نعيم كحالة وعبد الوهاب القرطاس وعبد الله صائب وعبد المجيد الشاوي وسليمان فيضي (55) .

وامتدت مساهمات أسرة الزهير الصحفية في مجالها التحريري والطباعي ، فقد أصدر(عثمان الزهير) جريدة أخرى في بغداد سماها (المرقب) وذلك في 16 تشرين الثاني 1923م ، وأشرف (سليمان الزهير) على صدور الطبعة العربية من صحيفة (بصره تايمز) أو الأوقات البصرية وهي صحيفة أسسها جيش الاحتلال البريطاني في البصرة ، انتقل امتيازها وأصبح مدير تحريرها (جون فيلبي) وكان يتقن العربية يساعده في تحريرها كتاب عراقيون ، وصدرت بأربع لغات ألعربية والتركية والفارسية والإنكليزية واستمرت بالإنكليزية حتى عام 1921م حين حلت محلها العربية (56) .

أما فيما يتعلق بمساهمات الزهير في الحركة العلمية فقد كان بيت (علي الزهير) في محلة الزهيرية المعروفة في الزبير مقرا للمدرسة الأولية التي أنشأت عام

1916م من قبل الإنكليز في أواخر عهد شيخ الزبير(إبراهيم العبد الله الراشد) بمبادرة من الكابتن الهولندي الأصل (ماك كالم) ، وهي عبارة عن ثلاثة فصول الأول والثاني والثالث ومنهجها تعليم مبادئ العلوم والجغرافيا والتاريخ والحساب ، ثن انتقلت المدرسة في عام 1923م إلى محلة الرشيدية في بيت (خالد المنديل) ، وبعد ذلك انتقلت إلى (الحصي) في بيت (أحمد الليفة) ، وقد درس فيها من العلماء والأساتذة(الشيخ عبد المحسن البابطين وأحمد الخميس ويوسف يعقوب الزهير وصالح خليل الزهير ويوسف إسماعيل الشرهان الذي أصبح مديرا للمدرسة عام 1925م وإبراهيم العرفج وعبد الكريم السويدان وأخوه أحمد السويدان) وكان يصرف للطلاب إعانات مالية وملابس وتغذية (57) .

وكانت الحركة العلمية في الزبير قد قطعت شوطا مهما حيث بلغ الذين يمكنهم التدريس ستمائة رجل ، وأحصى الشيخ (يوسف الزهير) المتوفى عام 1829م عدد حفاظ القرآن الكريم فبلغوا ألف وسبعمائة رجل ومائتي وتسعين امرأة ، وحفاظ متون الفقه واللغة خمسمائة رجل وتسعين امرأة (58) .

الموال الزهيـــري :

لا أحد لحد الآن استطاع أن يحدد تحديدا علميا صحيحا أو أن يعين بصورة أكيدة في أي زمان ومكان نشأ وترعرع الموال الزهيري ، ولا من هو الشاعر الذي ابتدع هذا النمط من الشعر العامّي ، ولكننا نستطيع الإقرار بحقيقة أن هذا الموال موجود بأشكال متقاربة في جميع أنحاء المشرق من الوطن العربي والخليج العربي ، وجميع الشعراء الشعبيين ينظمون هذا اللون من الشعر الذي يمتاز عن غيره بعدة نواحي منها أنه شعر نظم ليغنى بالدرجة الأولى (59) .

وهو أحد أوزان الشعر الشعبي العراقي ويسمى ((الموال)) في العراق و((الموالیا)) في بقية البلدان العربية ، ولهذه التسمية روايات عديدة ، منها أن هذا النوع من الزجل انتشر بعد نكبة الخليفة العباسي هارون الرشيد بالبرامكة ، فكان محبو البرامكة ينشدونه وأصبح عنوانا عاما يطلق على هذا النوع من النظم ، وأما تسميته بالزهيري في العراق ، فيقال أن سبب تسميته لشاعر من عشائر الزهيري في مدينة ديالى (شمال شرق بغداد) ، وقد جاد بهذا النوع من النظم وأكثر منه حتى غلب اسمه على ما يكتبه ، ويقال أيضا أن الزهيري أطلق على هذا النوع من الشعر لأن الشاعر يستخدم مفردة ويزهر منها جناسا حسب ما تتطلبه أشطر النظم (60) .

والراجح أن الزهيري هو أسلوب أداء للموال كان يتقنه الملا (جادر الزهيري) من أهالي الزهيرات في محافظة ديالى ، والاختلاف في التسمية لا يشير إلى أي اختلاف في البناء ولا في طرق الأداء ، على أن هناك محاولات حديثة في التعامل مع هذا الفن لم يذكرها باحثو تاريخ الموال العراقي (61) .

وقد وصل الشعر الزهيري إلى الكويت من العراق ، ويقال أن (عبيد واسط) التابع للواء الكوت (محافظة واسط حاليا) التي بناها الحجاج بن يوسف الثقفي عام 702م كانوا هم أول من ترنم وتغنى به وهم يمارسون أعمال الزراعة ، وفي آخر الترنم يقولون ((ياموماليا)) إشارة إلى سادتهم ومنها أتت تسمية الموال ، هذا ما ذكره عبد الكريم العلاق في كتاب ((الموال البغدادي)) ، أما أن أصل الموماليا فينسب إلى الجارية التي رثت هارون الرشيد عندما مات (62) .

ويعد الزهيري من أصفى الأوزان الشعبية وأكثرها التصاقا بعروض الشعر العربية ، إذ أنه يستخدم بحر البسيط بكافة تفعيلاته ، حيث تضطره المفردة الشعبية إلى الميل بالعروضيّ الأخيرة التي هي الضرب فيستخدم (فاعلن) بدلا من (فعلن) كما في المثال :

تمّيت أحومي إعلى شوفك بس أروحن وارد

ولو قطعناه عروضا سيكون :

تميتا حو / معلشو / فكبس أرو / حن ورد

بينما نرى أن بحر البسيط يكون تقطيعه العروضي بهذا الشكل :

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

وهذا هو الاختلاف بين بحر البسيط المستخدم في الشعر العربي وبين بحر البسيط المستخدم في النظم الدارج ، حيث أن الشعر الدارج يكرر المقطع العروضي الأول في البسيط مرتين مما يمنح هذا النوع من النظم زخما إيقّاعيا ويساعد على شد انتباه المتلقي لما في تكرار المقطع العروضي من محاولة للهيمنة الإيقّاعية على سمع المتلقي ، وقد يكون هذا سبب من أسباب انتشار هذا النوع ونجاحه ، فضلا عن المفردات المستخدمة والجناس التي تمنح المتلقي أفقا تأمليا في معرفة مغزى هذه الجناس (63) .

كما اختلف النظم بالنسبة إلى عدد الأبيات بين المناطق في الوطن العربي ، ففي الكويت شاع النظم السباعي ، والشطر الأخير من الشعر الزهيري يسمى (الربّاط) ويبدأ بثلاثة أشطر على القافية المرصودة نفسها ، ثم ثلاثة في قافية أخرى ، فيعود (الربّاط) إلى القافية الأولى (64) ، أما إذا كان النظم من أربعة أشطر ، فيكون الأول والثاني والثالث من قافية واحدة ويختلف الرابع ، وإذا كان من خمسة أشطر ، يشترك الأول والثاني والثالث والرابع بقافية وينفرد الخامس عنه بقافية أخرى ، ويعتمد على الجناس في حالات وعلى التورية في حالات أخرى ، ويتردد في القافية الأولى للموال كلمة واحدة تحمل معاني عدة ، وقد تكون مركّبة من كلمتين تلفظان معا فتعطيان صوت الكلمة الأولى ولكن لا تعطيان معناها ، وفي القافية الثانية (الأشطر 4و5و6) تستعمل كلمة أخرى تعتمد على الجناس أيضا ، وينطبق عليها ما ينطبق على القافية الأولى ، وهنا تظهر براعة الشاعر في تأليف وتركيب الكلمات التي تعطي معاني مختلفة ، وهي ذات لفظ سماعي واحد (65) .

ويبدو هنا أن أشهر أنواع نظم الشعر الزهيري هو السباعي حيث أن اختيار الكلمة يمثل قوة الشعر الزهيري ، كأن تكون كلمة غير مطروقة من قبل الشعراء السابقين ، فيسمى الموال الذي يحمل كلمة جديدة بالموال البكر ، وكربلاء والنجف والديوانية هي المناطق العراقية التي تجيد هذا النظم من الشعر الزهيري ، ولبعض مناطق جنوب العراق مميزاته التي تحدد صعوبته ، لأنه أصعب أنواع الشعر الشعبي من حيث البناء والتركيب ، ثم أن لغته المكتوبة قريبة جدا من اللغة العربية الفصحى ، وأكثر الأغراض التي كتب فيها هي الرثاء الديني والمديح والمساجلات بين الشعراء ، وكان يسمى في بداية العصر الحديث بشعر الأمراء (66) .

وفضلا عن ذلك فأن هناك من يرى أن أصل الشعر الزهيري هو شعر الرجز ، حيث أن الرجز كما يرى (هارتمان) يتكون من خمسة وعشرين بحرا من البحور المستحدثة ، وقد تكون بداية الموال بهذه الطريقة ، فأصابه ما أصابه من تغيير في القافية وعدد الأشطر ووصل إلى ما وصل إليه اليوم وتلاقفته الأجيال وأجرت فيه بعض التغييرات التي ذكرت آنفا (67) ، وفي الخليج العربي في الغالب الأعم تكون النصوص الشعرية التي تذكر عليها أغاني البحر بالدرجة الأولى هي قالب الزهيري أو الموال ، ولكنها تتنوع داخل النطاق العروضي ، وهو نص أشطاره متعاقدة بعضها على بعض ، تتبع قافية مقسمة بين عدد أبياته بواقع ثلاث أبيات بقافية مختلفة ثم شطريّ يتبع قافية المبدوء بها (68) .

وفي الكويت على وجه الخصوص وبقية مناطق الخليج العربي عامة فللموال الزهيري في الغناء والأداء شأن آخر يختلف عما هو معروف في العراق وغيره من الأقطار العربية ، ففي حين يؤدي المطرب تصاحبه جوقة موسيقية تستخدم الآلات الوترية ، فإنه في البحرين والكويت لا يؤدى بصوت واحد ولا تصاحبه الآلات الوترية والموسيقية ويعرف لحن الموال في الخليج العربي بالأنواع التالية : الياهي ، الغديري ، الراكد ، المحرقي ، المخالف ، الحدادي ، ألفجري ، العدساني .

ويؤدى اللحن الأول حتى الرابع من قبل منشد يدعى (النّهام) تشاركه جوقة تسمى (الردادة) والجوقة عادة هي مجموعة البحارة أثناء قيامهم بعملهم في التجديف ، أما الأنواع الأربعة الأخيرة فإنها تؤدى بلحن يختلف عن القسم الأول ففيها تستعمل آلات الإيقاع فقط مثل الطبل والطار(الدف) والحجلة : وهي وعاء فخاري شبيه بالجرّة يضرب على فتحتها بالكف ، وتؤدى هذه الأنواع على ظهر السفينة أو أماكن رسوها (69)

ومن هنا فإن الموال الزهيري من أصعب أنواع الشعر حيث يركز على قوة الشاعر وكثرة المفردات وينحدر من جناس المروبع المتصل بالشعر النبطي ، وهو شعر قوافيه لفظية تعتمد على الجناس اللفظي وسبب شهرة الموال الزهيري هو وجوده في مقدمة أغاني الدانة والصوت وهو جنس أدبي راق وشفاف

وطورت أسرة الزهير الموال وارتبطت الزهيريات بالعديد من رموزها ، وقد كتب الشيخ (عبد الرزاق بن يوسف بن يحيى الزهير) موالا شعبيا خطه على الأرض ليلة مقتله عام 1823م ، فسمى الناس هذا النوع من المواويل والتي على شاكلته فيما بعد (الزهيري) ومفردها (زهيرية) والجمع (زهيريات) ، وهناك من تعاطف مع أسرة الزهير التي تعرضت لمذبحة رهيبة ، حيث قال الشيخ (عبد الرزاق الزهير) قبل مقتله بدقائق (70) :

الغادره ما تخليني برشدي ورياتي
أصبحت أنا أنشد على المخلوق راياتي
أصحابنا اليوم خانوا عهدي ورياتي
أمر من الله وهذا يومنا الموعود
أمسيت أخط بقلم وأصبحت أخط بعود
إن أقبلت لأطعن الملبس بسن العود
وإن أدبرت ضيعت رشدي ورياتي

الهوامـــــش

(1) معلومات ذكرها رجب بركات لجريدة الجزيرة السعودية في عددها 9923 ، الثلاثاء ، 22 شعبان 1420ه/ 30 تشرين الثاني 1999م ، ص مقالات .

(2) حسين خلف الشيخ خزعل ، تاريخ الكويت السياسي ، ج 1، بيروت ، 1962، ص 101-110 .

(3) منتدى واحة التراث الشعبي على الموقع :
http://haras.nassej.com/Detail.asp?InNewsItemID=174406.

(4) موسوعة الساحات الالكترونية على الموقع :
http://www.arabsys.net/vb/showthread/php?t=17123.

(5) عبد الرزاق عبد المحسن الصانع وعبد العزيز عمر العلي ، إمارة الزبير بين هجرتين بين سنتي 979-1400ه/ 1571-1979م ، ط1 ، الكويت ، 1406ه/ 1985م ، ص 132 .

(6) حريملاء : مدينة من مدن إقليم المحمل في نجد بالقرب من مدينة سدوس أول بلاد اليمامة من جهة الغرب تولى حكمها أمراء من آل حمد وآل مبارك وآل راشد حتى عام 1755م حين ضمت عنوة إلى السعودية الأولى ، للمزيد راجع :
http://www.alrashidfamily.com.

(7) أنظر الموقع :
http://www.hrmla.com/forums/showthread.php?p=237127#post237127.

(8) تقع مدينة الزبير في القسم الشمالي الشرقي للجزيرة العربية شمال الخليج العربي في الجنوب الغربي للبصرة ، ولموقعها أثر في نفوس أهلها طبّعهم بطابع ظهرت به وتميزت آثاره في حياة أبناءها العقلية والاجتماعية ، وهي إحدى الجسور المهمة التي تصل بين الجزيرة العربية والعراق ، وأهل الزبير هم من سكان نجد ، هاجروا إليها

بسبب هروبهم من الدولة السعودية الأولى وبسبب الجفاف حيث انتقلوا إلى الزبير في العراق ، وتعاقبت على حكمها مجموعة أسر ابتداء من 1787إلى عام 1915م وهي أسر: الزهير والثاقب والعون والراشد والمشاري والمشري ، وكان آخر حكامها هو الشيخ (إبراهيم العبد الله الراشد) الذي وقف موقف الحياد في الحرب العالمية الأولى ، عبد الرحمن محمد الإبراهيم ، المدينة المهجورة ، بوابة العرب ، 17 أيار2005 .

(9) الشيخ حرب بن ناصر الزهير حاوره صبار العنزي ، آل زهير الأسرة النجدية التي حكمت الزبير ، مجلة الحرس الوطني السعودية ، ع 281 ، 1 تشرين الأول 2005 ، ص واحة التراث الشعبي .

(10) الشيخ محمد النبهاني ، البصرة التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ، ط 2 ، مصر، 1342ه / 1923م ، ص 123 .

(11) يقع مسجد النجادة بين وسط مدينة الزبير من محلة الرشيدية والزهيرية وعلى بعد يسير من السوق وعلى الطريق المؤدي إلى البصرة وهو أول مسجد خطه النجديون الذين وفدوا إلى الزبير عبر مئات السنين . حول جامع النجادة في الزبير راجع : د. علي عبد الرحمن أبا حسين، مسجد النجادة الجامع في الزبير، جريدة الجزيرة السعودية ، ع 10154 ، الاثنين ، 15 ربيع الثاني 1421ه / 17 تموز 2000م ، ص مقالات .

(12) عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج1 ، مكة المكرمة ، 1398ه/ 1977م ، ص 175-176 .

(13) محمد بن سعد الرقراق ، لمحات من ماضي الزبير ، ط 1 ، الكويت ، 1415ه/1988م ، ص 94 .

(14) إمارة الزبير(نجد الصغيرة) على الموقع :
http://www.ansab-online.com/phpBB2/showthread.php?t=4458.

(15) أنظر الموقع :
http://www.ansab-online.com/phpBB2/showthreadphp?t=10814.

(16) الزهير لخزامى الصحارى ، (الدستور) أول جريدة تقابل المؤسس بعد فتح الأحساء مباشرة ، حاوره صبار العنزي ، جريدة الرياض ، ع 13627 ، السبت ، 12 رمضان 1426ه / 15 تشرين الأول 2005 .

(17) http://www.asab-online.com

(18) الزهير لخزامي الصحارى ، (الدستور) أول جريدة تقابل المؤسس بعد فتح الأحساء مباشرة ، حاوره صبار العنزي ، جريدة الرياض ألسعودية ، ع 13627 ، السبت ، 12 ربيع الأول 1426ه /15 تشرين الثاني 2005م .

(19) منتديات أون لاين على الموقع :
http://ansab-online.com/phpBB2/Showthread.php?t=10814.

(20) النبهاني ، المصدر السابق ، ص 122 .

(21) جريدة السياسة ، الكويت ، 29 آب 2004 .

(22) العنزي ، المصدر السابق .

(23) الشيخ خزعل ، المصدر السابق ، ص 85 .

(24) الرقراق ، المصدر السابق ، ص 95 .

(25) النبهاني ألمصدر السابق ، ص 125 .
(26) أحمد بن نور الأنصاري ، النصرة في أخبار البصرة ، تحقيق د . يوسف عز الدين ، ط2، بغداد ، 1976 ، ص 26 .
(27) عبد الله رمضان العيادة،مشيخات الزبير ،جريدة المنارة ،السبت 14 تشرين الأول 2006 ،صفحة استطلاع .
(28) منتديات نجم سهيل ، قصة الشاعر محمد بن لعبون على الموقع :
http://www.njm1.com/showthread.php?t=6282.
(29) أنظر الموقع :
http://www.wabn.com/forum/shoethread.php?t=3455.
(30) النبهاني ، المصدر السابق ، ص 126 .
(31) الشيخ خزعل ، المصدر السابق ، ص 103 .
(32) أنظر الموقع : http://www.aldhfeer.com/vb/showthread.php?t=14480.
(33) الشيخ خزعل ، المصدر السابق ، ص 103 .
(34) غازي الجاسم ، الزبير قصة النشوء والأفول ، جريدة القبس ، الكويت ، ع 12460 ، 8 شباط 2002 .
(35) ج ج سلدانها ، التاريخ السياسي للكويت في عهد مبارك الكبير، ترجمة فتوح عبد المحسن الخترش ، الكويت ، 1950 ، ص 211 .
(36) النبهاني ، المصدر السابق ، ص 126 .
(37) الأنصاري ، المصدر السابق ، ص 28 .
(38) النبهاني ، المصدر السابق ، ص 127 .
(39) أنظر الموقع :
http://www.alaiman.ws/vb/archive/hndex.php/t=4847.htm.
(40) شخصيات من الخليج بأقلام غربية ، جريدة الوثيقة ، ع 24 ، 1994 .
(41) منتديات حرمة على الموقع :
http://www.anab-online.com/phpBB2/showthread.php?t=9218.
(42) منتديات مدينة حرمة على الموقع
http://harmah.org/index.php?showtopic=8913.:
(43) النبهاني ، المصدر السابق ، ص 127 .
(44) المصدر نفسه ، ص 128 .
(45) أنظر الموقع : http://www.miraat zubair.com/vb/showthread.php?t=3344.
(46) الموقع نفسه .
(47) عبد الرحمن الشبيلي ، صفحات مجهولة من تاريخ الأعلام في الجزيرة العربية ، جريدة الجزيرة السعودية ، الأحد ، ع 9824، 11جمادي الأولى ، 1420ه / 22 آب 1999م ، ص مقالات .
(48) النبهاني ، المصدر السابق ، ص 133 .

(49) إبراهيم فصيح صبغة الله الحيدري ، عنوان المجد في بيان أحوال البصرة وبغداد ونجد ، لندن ، دار الحكمة ، 1998 ، ص 198 .
(50) الشيخ خزعل ، المصدر السابق ، ص 199 .
(51) الشبيلي ، المصدر السابق .
(52) معلومات أوردها رجب بركات لجريدة الجزيرة السعودية في عددها الثلاثاء ، 9923والصادر في 22شعبا ن 1420ه/ 30 تشرين الثاني 1999م .
(53) الشبيلي ، المصدر السابق .
(54) الصانع ، المصدر السابق ، ص 133 .
(55) أنظر الموقع :
http://www.azzaman.com/azz/articles/2004/07/0702/899.htm.
(56) رجب بركات ، جريدة الجزيرة ، المصدر السابق .
(57) أنظر الموقع :.http://www.alzubaair.net/history.htm
(58) أنظر الموقع : .http://www.almajdam,net/forum/viewtopic.php?t=123
(59) www.kaadesign.com.
(60) أضواء العراق ، نبذة مختصرة عن الشعر الزهيري على الموقع :
http://www.Iraqlights.org/vb/showthread.php3t=20845.
(61) محمد سعيد الصكار ، التراث ألشفاهي في العراق ملامح عامة ، جريدة المدى ، الثلاثاء ، ع 990، 10 تموز ، 2007 ، ص المدى الثقافي .
(62) مذكرة محاضرات موسيقى لبنانية ، لبنان 2003 على الموقع :
http://www.alsea7.com/vb/archive/index.php/t-5334htm.
(63) أضواء العراق ، المصدر السابق .
(64) د. يوسف فرحان الدوخي ، الأغاني الكويتية ، ط 1 ، الكويت ، 1984 ، ص 302 .
(65) www.kaadesign.com
(66) الشعر الشعبي العراقي بين الماضي والحاضر (الباب الأول) ، جريدة كل العراق ،
(67) http://www.Sanabes.com/forums/archive/index.php/t-17144.htm1.
(68) يوسف عيد ، مرمر زماني ، حلة الطرب في أقطار العرب ، دار الفكر اللبناني ، لبنان ، 1993 ، ص 165 .
(69) المصدر نفسه ، ص 166 .
(70) الزهير لخزامي الصحارى ، (الدستور أول جريدة تقابل المؤسس بعد فتح الأحساء مباشرة) ، حاوره صبار العنزي ، جريدة الرياض السعودية ، ع 13627 ، السبت 12 رمضان 1426ه / 15 تشرين الثاني 2005م .